

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- : [٢٠٦ - وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ : ((لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ))] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه أجمعين ، وعلى آله وصحبه ومن سار على سبيله ونهجه إلى يوم الدين ، أما بعد :
فقد ذكر المصنف -رحمه الله- حديث أبي العباس سهل بن سعد -رضي الله عنه وأرضاه- أن النبي -ﷺ- قال : ((لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ)) وتماثله : ((وَأَخْرُوا السَّحُورَ)) اشتمل هذا الحديث الشريف على بيان هدي النبي -ﷺ- وسنته في تعجيل الفطر ، وتأخير السحور .

ولما كان هذا الأمر من الأمور المتعلقة بفريضة الصيام ، ناسب أن يعتني المصنف -رحمه الله- بإيراده في هذا الموضع .

ولعل سائلاً يسأل : لماذا اقتصر المصنف -رحمه الله- على الجملة الأولى ، ولم يذكر تمام الحديث ؟

والجواب : أن المصنف تقدم أنه تقدم ذكره لهدي النبي -ﷺ- في السحور ، وأن السنة تأخير السحور ، ولعل المراد من إيراد الحديث هنا هو بيان الهدي في الفطر ، ولذلك أعقبه بالأحاديث التي تبين سنة النبي -ﷺ- في وقت الفطر ، فلو ذكر الجملة الثانية لالتبس مراده على من يقرأ ، أو يريد فهم المناسبات بين أحاديثه التي أوردتها -رحمه الله برحمته الواسعة- .
هذا الحديث بيان من النبي -ﷺ- وتوجيهه بأسلوب التشويق والتحبيب ، بين فيه -صلوات الله وسلامه عليه- باباً من أبواب الخير ، وما ترك باب خير إلا ودلنا ، ولا سبيل رُشد إلا هداًنا إليه -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه- .

يقول -عليه الصلاة والسلام- : ((لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ)) ، وفي لفظ : ((لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ)) ، الخير هنا خير الدين والدنيا والآخرة :

وأما خيرُ الدِّينِ : فَإِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَخَّرَ السَّحُورَ ، فَإِنَّهُ يَقْوَى عَلَى الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ ، وَتَسْتَحْمُ رُوحُهُ ، وَتَقْوَى نَفْسُهُ عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ كَالصَّلَوَاتِ ، وَتَنْشَطُ نَفْسُهُ لِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَصَلَةِ الرَّحِمِ ، وَالْقِيَامِ بِأُمُورِ الْخَيْرِ الْآخَرَى ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَضْعِفْ الصَّوْمُ ، فَإِذَا كَانَ سَحُورُهُ مُتَأَخِّرًا كَانَتْ نَفْسُهُ قَوِيَّةً عَلَى الطَّاعَةِ ، وَلِذَلِكَ يُؤَدِّي الصَّلَوَاتِ بِحُضُورِ قَلْبٍ وَخَشُوعٍ أَكْمَلَ مِمَّا لَوْ كَانَ جَائِعًا وَلَمْ يُصَبِّ طَعْمَةَ السَّحْرِ ، فَإِنَّهُ تَضَعَفُ نَفْسُهُ ، وَلِرُبَّمَا ضَعْفَ عَنِ الصَّلَوَاتِ وَالْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ فَأَدَّاهَا بِحَالٍ دُونَ الْحَالِ الْأَكْمَلِ .

وَمَنْ خَيْرِ الدِّينِ الَّذِي يَجِدُهُ الصَّائِمُ فِي تَأْخِيرِ السَّحُورِ وَتَعْجِيلِ الْفِطْرِ : أَنَّهُ إِذَا أَخَّرَ السَّحُورَ أَصَابَ أَفْضَلَ الْأَوْقَاتِ ، وَلِرُبَّمَا أَخَّرَ الْإِنْسَانُ السَّحُورَ ، وَجَاءَهُ وَقْتُ السَّحْرِ قَبْلَ أَنْ يَطْعَمَ الْأَكْلَ فَاسْتَحَمَّتْ نَفْسُهُ ، وَقَوِيَتْ رُوحُهُ لِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَيُصَلِّي مَا شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَصَلِّي وَيَذَكُرُ رَبَّهُ ، وَيَسْأَلُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَيَكُونُ لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَيْرِ الشَّيْءِ الْكَثِيرُ .

يَقُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- : ((لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ)) هَذَا كُلُّهُ مِنْ خَيْرِ الدِّينِ .

وَأَيْضًا مِنْ خَيْرِ الدِّينِ : اتِّبَاعُ هَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَ سُنَّتِهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ، فَمَنْ سَمِعَ بِأَحَادِيثَ مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَطَبَّقَهُ وَالتَزَمَهُ وَسَارَ عَلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ وَانْتَهَجَهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْظُمُ أَجْرَهُ ، وَيَرْفَعُ دَرَجَتَهُ ؛ لِأَنَّ الْعَلَمَ بِالْعَمَلِ فِيهِ عَظِيمُ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ -ﷻ- كَذَلِكَ فِيهِ خَيْرُ الدُّنْيَا : فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَخَّرَ السَّحُورَ قَوِيَتْ نَفْسُهُ كَمَا ذَكَرْنَا ، فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَحْصِلَ مَعَاشَهُ ، وَأَنْ يَطْلُبَ الرِّزْقَ ، وَالصَّوْمُ لَا يَضْعِفُهُ وَلَا يَجْهَدُهُ عَنْ تَحْصِيلِ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِ ، فَلِرُبَّمَا صَادَفَ يَوْمَ الصَّوْمِ يَوْمَ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا ، فَتَكُونُ نَفْسُهُ قَوِيَّةً ، وَصِحَّتُهُ قَوِيَّةً ؛ لِأَنَّهُ حَدِيثُ الْعَهْدِ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ، فَلَا يَضْعَفُ عَنْ تَحْقِيقِ مَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَطَلَبِ مَعَاشِهِ ، وَالْإِسْلَامُ دِينٌ جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ بَيْنَ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ مُطَالِبٌ فِيهِ بِتَحْصِيلِ مَصَالِحِ الدِّينِ ، كَذَلِكَ هُوَ مُطَالِبٌ بِتَحْصِيلِ مَصَالِحِ الدُّنْيَا .

وَأَمَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ : فَإِنَّ اللَّهَ -ﷻ- مَا أَمَرْنَا وَلَا دَلَّنَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِنَا -ﷺ- عَلَى أَمْرٍ إِلَّا جَعَلَ فِي طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ ذَلِكَ الْأَمْرِ عَظِيمَ الثَّوَابِ ، وَحُسْنَ الْمَأْبِ يَوْمَ الْحِسَابِ .

فَبِذَلِكَ جَمَعَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ بَيْنَ خَيْرِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَأَمَّا تَعْجِيلُ الْفِطْرِ : فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَنْ يَفْطَرَ الصَّائِمُ عِنْدَ أَوَّلِ وَقْتِ الْإِبَاحَةِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ تَحْقُوقِهِ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، كَمَا سَيَأْتِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- بَيَانُ الْهَدْيِ وَالسُّنَّةِ وَالْمُعْتَبَرِ فِي الْحُكْمِ بِانْتِهَاءِ وَقْتِ الصَّوْمِ ، وَذَلِكَ بِغُرُوبِ الشَّمْسِ بِإِقْبَالِ اللَّيْلِ ، وَإِدْبَارِ النَّهَارِ .

فإذا عَجَّلَ الفِطْرَ ، فَإِنَّ ذلكَ أَرْفَقُ بِنَفْسِهِ ، وهذا خَيْرٌ دُنْيَا .

وَأَتَقَى لِرَبِّهِ ، وهذا خَيْرٌ دِينٍ .

وفيه مخالفةٌ لليهود والنصارى الذين شَدَّدُوا على أنفسهم ، فَبَيَّنَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- أَنَّ سُنَّتَهُ على مخالفتهم في تأخير السَّحُورِ ، وتعجيلِ الفِطْرِ .

وفي هذا الحديثِ دليلٌ على سماحةِ الإسلامِ ويسره ، وَأَنَّهُ دِينٌ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ -تَبَارَكَ

وَتَعَالَى- في كتابه لقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ فَمَا أَمَرْنَا بِالصَّوْمِ ، فَانظُرْ

إلى هذا التيسيرِ والرَّحْمَةِ حينما يكونُ عندَ آخِرِ الأوقاتِ ، ويُفْطِرُ الإنسانُ عندَ أولِ الوقتِ ، وهذا كُلُّهُ تيسيرٌ على العبادِ ، ورحمةٌ من اللهِ -ﷻ- .

اللَّهُمَّ لك الحمدُ إذ هَدَيْتَنَا لهذا الخَيْرِ ، ونقولُ بملءِ قلوبنا وألسنتنا : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا

لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَن هَدَانَا اللهُ ﴾ .

وفي أسلوبِ الحديثِ في قوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- : ((لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ

، وَأَخَّرُوا السَّحُورَ)) فيه دليلٌ على أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ للدَّاعِيَةِ إلى اللهِ والعلماءِ والخطباءِ وأئمةِ الدِّينِ

أَنْ يُرْعَبُوا النَّاسَ في الطَّاعَةِ بِالأَسَالِبِ الطَّيِّبَةِ والكَلِمَاتِ المُؤَثِّرَةِ ، فقد كانَ بالإمكانِ أَنْ يقولَ -

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- : (أَيُّهَا النَّاسُ عَجَّلُوا الفِطْرَ ، وَأَخَّرُوا السَّحُورَ) ، ولكنَّهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ- جاءَ بهذه الجملةِ التي تلمسُ شغافَ القلوبِ ، وتحركُ النُّفُوسَ المُؤْمِنَةَ إلى الامتثالِ

والاستجابةِ ، فحينما قالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- : ((لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ)) شَوَّقَ كُلَّ سامِعٍ

إلى أَنْ يسألَ ، وإلى أَنْ يبحثَ : ما هُوَ الأمرُ الذي يُفْضِي إلى هذا الخَيْرِ العظيمِ والذي يجعلُ

النَّاسَ في ديمومةٍ من الخَيْرِ ، فقالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- : ((مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ ، وَأَخَّرُوا

السَّحُورَ)) ، ولذلك أُوتِيَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- جوامعَ الكَلِمِ ، وهذا كُلُّهُ يدلُّ على أَنَّ

السُّنَّةَ والهدْيَ أَنْ يُرْعَبَ الدَّاعِيَةُ إلى اللهِ والإمامُ والخطيبُ ونحوهم مِمَّنْ يقومُ بإرشادِ النَّاسِ

ودلائلهم إلى الخَيْرِ أَنْ يراعِيَ الأَسَالِبَ المُؤَثِّرَةَ والكَلِمَاتِ الطَّيِّبَةَ ؛ تَأْسِيًّا برسولِ اللهِ -ﷺ- .